واقع اللغة الأمّ في ظلّ التعدّد اللّغويّ

أ/ مليكة قماط •
جامعة مولود معمري تيزي ـ وزو ، Malikaguemat5@gmail.com

الاستلام: 2018/06/29 . **القبول:** 2018/07/10. **تاريخ النّشر:** 2018/10/01

ملخّص: يعيش المجتمع اليوم وضعا لغويا متعدّدا وهو ما يُصطلح علي تسميته اليوم بالتعدّد اللغويّ ، ففيه يتناوب مجموعة متكلمون في مجموعة لغوية على نظامين لغويين مختلفين وربما أكثر وهذا التناوب يقف مقابلا للأحادية اللغوية ، إذ يترك أثرا في اللغة الأمّ ، وهذا الأثر ناتج عن تغيرات تحدثها أنظمة لغات أجنبية.

وفي ظلّ هذا التعدّد اللغويّ لا يملك أبناء مجتمعاتنا اليوم العدة الكافية في فرض مركزية لغتهم لهيمنة الممارسات اللغوية الأخرى على كثير من القطاعات الحيوية والاجتماعية والمعرفية التي تتحكم في الوسائل التقنية والالكترونية.

وحتى تضمن اللغة الأم اقتدارها واستمرارها ، فلا بدّ أن يتوفر لها وضع متّزن ينبني على المصلحة القومية المحافظة على الثوابت الحضارية دون إقصاء تعسّفيّ للتعدّد اللغويّ في صوره الإيجابية.

ونحن في دراستنا هذه سنحاول أن نبيّن مكانة اللّغة الأم بين اللغات الأجنبية الأخرى في هذا العصر الذي فُرضت فيه لغة الأقوياء ، هل مازالت توظف أم أنّها أصبحت لغة مهمشة لا قيمة ولا دور لها ، ويكون ذلك بدراسة ميدانية تقام على بعض العائلات في منطقة تيزي-وزو لنبين مدى استعمال اللغة الأم ومدى استعمال اللغات الأجنبية ، وما هي اللغة الغالبة في الاستعمال اليومي بإتباع طريقة التسجيل الصوتيّ للخطابات العادية والمحادثات اليومية التي تجري بين أفرادها وتمّ اختيارنا لهذا النوع من الخطابات لأنّ الفرد يكون في حالته العادية يتحدث بعفوية ، وركزنا على العائلات المتعلمة التي تتحدث بعدة لغات.

الكلمات المفاتيح: التعدّد اللغويّ ، اللغة الأمّ ، اللغة القبائلية ، سكان الأرياف ، سكان المدن.

The reality of the mother tongue in the context of multilingualism

Abstract: Today, our society witnesses a multi-lingual situation, which is now called multilingualism. As such, group of language users alternate between two, or perhaps more, linguistic patterns. This rotation stands in contrast to monolingualism, in that it

• **المرسل الأول:** مليكة قماط ، Malikaguemat5@gmail.com

has an impact on the mother tongue. This impact results from changes caused by foreign languages patterns. With this multilingualism, we are not equipped enough to centralize our language owing to the dominance of other linguistic practices in many vital, social and cognitive sectors that control electronic and technical means. In order for the mother language to ensure its ability and continuity, it must have a balanced situation based on the nationalism spirit in preserving the cultural constants without arbitrary exclusion of multilingualism. In this study, we will try to show the status of the mother tongue among other foreign languages in this era when the language of the powerful was imposed. The point is to see whether it is still employed or is it a marginalized with no value or role. This is a field study conducted on some families in the Tizi-Ouzou region to demonstrate the extent to which the mother tongue and foreign languages are used. The study also attempts to discover what the dominant language is in daily use through recording the voice of ordinary letters and daily conversations that take place among the members of the targeted families. We have selected this type of discourse because, in such an interaction, one speaks spontaneously. To reach more reliable results we have focus on on educated families who spoke in many languages.

Keywords: Multilingualism, mother tongue, Kabylie language rural population, urban population.

المقدّمة: الحمد لله الذي خلق الإنسان علّمه البيان ، والصلاة والسلام علي نبيه المصطفى ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وبعد...

أصبح العالم اليوم قرية صغيرة بفضل التطور والتقدم التكنولوجيّ الذي عرفته البشرية في كل المجالات منها الاقتصادية والاجتماعية ، والسياسية ، والمعرفية ، ولكل مجتمع من المجتمعات خصائصه اللّغوية ، وممّا هو ضروريّ في عصرنا هذا هو التواصل والانفتاح على الحضارات الأخرى لذلك كان لزاما البحث عن سبل التخاطب ، فأصبح تعلّم لغات الشعوب الأخرى من متطلبات العصر فهناك العديد من الأفراد من يتكلمون لغتين أو أكثر بالإضافة إلى اللغة الأمّ ، ولا يستخدمون هذه اللغات في أماكن عملهم إنّما يوظفونها حتى في الحياة العادية اليومية مع أفراد الأسرة وحتى الأطفال ، ويطلق على هذه الظاهرة بالتعدد اللغويّ.

التعدّد اللغويّ إذن من الظواهر التي انتشرت بكثرة في مجتمعنا المعاصر ، ويرجع ذلك طبعا إلى أسباب سياسية واجتماعية ، واقتصادية ، ورغبة كل مجتمع أو كل فرد من الأفراد بالخروج والانفتاح على العالم بحثا عن سبل المعرفة ومناصب الشغل ، فلم تعد الحياة كالسابق حيث كان الفرد يكتفي فقط بلغته والأفراد المحيطين به الذين يشترك معهم في اللغة وفي العادات والتقاليد ، ومما هو معلوم أنّ الإنسان إذا ما أراد أن يُطوّر نفسه فعليه أوّلا معرفه لغة الآخرين.

لا يخفى علينا إذن أنّ التعدد اللغوي له إيجابيات عديدة على المجتمعات لا نقول المجتمع العربيّ فقط ولكن حتى المجتمعات الأخرى ، هذه الظاهرة ساهمت في تطور البلدان والشعوب وفتحت الآفاق أمامها لتستفيد من هذا الزّخم الكبير من التكنولوجيا ، ثمّ إنّ التعدد اللغويّ قد أصبح ظاهرة لغوية عالمية صحية تساعد الفرد في التعامل مع محيطه ، والتفاهم مع الأشخاص مهما كانت لغتهم ، ولهذا أصبح الفرد يتّبع اللغة الأقوى التي يُتعامل بها على المستوى العالميّ والتي تعرف بلغة التقدّم أو لغة الحضارة.

ولا يخفى علينا أنّ ظاهرة التعدد اللغويّ مهما كانت إيجابياتها ، إلا أنّها تشكّل خطرا يهدّد اللغة الأمّ وحتى هويتنا وعاداتنا وتقاليدنا ، فأصبح أفراد مجتمعنا لا يتبنّون فقط تلك اللغة رغبة منهم في الانفتاح بل حتى العادات والتقاليد الغربية التي لا تتماشى مع أعرافنا ، وهذا هو الاستغلال السيئ بعينه ، فأفراد مجتمعنا لا نقول الكلّ إنّما الأغلبية منهم لا يدركون أنّهم في نفس الوقت الذي تعلّموا فيه اللغات الأجنبية وأصبحوا متفتحين على العالم قد تخلّوا عن أكبر موروث لهم ألا وهو اللغة الأمّ.

ونحن في دراستنا هذه سنحاول أن نبيّن مكانة اللّغة الأم بين اللغات الأجنبية الأخرى في هذا العصر الذي فُرضت فيه لغة الأقوياء ، هل مازالت توظف أم أنّها أصبحت لغة مهمشة لا قيمة ولا دور لها ؟ ويكون ذلك بدراسة ميدانية تقام على بعض العائلات في منطقة تيزي-وزو لنبين مدى استعمال اللغة الأم ومدى استعمال اللغات الأجنبية ، وما هي اللغة الغالبة في الاستعمال اليومي بإتباع طريقة التسجيل الصوتيّ للخطابات العادية والمحادثات اليومية التي تجري بين أفرادها وتمّ اختيارنا لهذا النوع من الخطابات لأنّ الفرد يكون في حالته العادية يتحدث بعفوية ، وركزنا على العائلات المتعلمة التي تتحدث بعدة لغات.

1. عينة الدراسة: تتمثل المدونة في التسجيل الصوتي للمحادثة العادية التي تجري بين أفراد الأسرة وأيضا المساءلة التي أجريناها على بعض سكان منطقة تيزي-وزو ، حيث بدأنا أولا ببعض الأسر الساكنة بالمدينة بالتحديد في المدينة الجديدة **(la nouvelle ville)** ، طرحنا عليهم بعض الأسئلة وبعدها انتقلنا إلى الريف وبالتحديد إلى أحد قرى دائرة أزفون ، وهي قرية **(آيت نعايم)** قمنا أيضا بطرح بعض الأسئلة على سكانها ، استخدمنا لتسجيل المساءلة جهاز الهاتف النقال.

لكن واجهتنا صعوبات عديدة أثناء بحثنا عن الأسر التي تقبل التعاون معنا والإجابة عن أسئلتنا حيث تعرضنا للشتم من بعض السكان ، خاصة في المدينة ، إذ كانوا يخافون من تسجيل أصواتهم على جهاز الهاتف ، ولكن أقنعناهم بصعوبة.

1. مفهوم التعدّد اللغويّ plurilinguisme: يمكن تعريف التعدد اللغوي على أنّه "عبارة عن وضعيات تواصلية لغوية مختلفة ، تختلف فيها اللغة المستعملة حسب الوضعية والسياق أو الحاجيات والغايات والأهداف ، أي أنّنا نتحدث بأكثر من نظامين لغويين ، وعلى هذا الأساس نجد أنّ التعدّد اللغوي يحتوي ما يسمى بالأحادية اللغوية والثنائية اللغوية[1]" فالتعدد اللغوي إذن مرتبط بالسياقات التي نتواجد فيها ، حيث أننا لا نستعمل العديد من اللغات في كل الظروف إنّما في ظروف خاصة.

كما أنّ التعدد اللغوي عبارة عن "استعمال أكثر من لسان واحد ، أي استعمال أكثر من لغة واحدة سواء أكان هذا الاستعمال يتعلق بشخص ، أو مؤسسة ، أو نظام تعليمي ، أو قطر من الأقطار ، أو معجم أو ما شابه ذلك[2]" أي أن التعدد اللغوي هو الحديث أو الكلام بأكثر من لغتين ، كما أنّه يشمل العديد من المجالات مثلما هو مذكور في التعريف.

وهناك مفهوم آخر للتعدد اللغوي يتعلق أساسا بالدولة "فنقول عن دولة ما أنّها متعدّدة اللغات حينما يتم التكلم فيها بلغتين مختلفتين على الأقل[3]" بمعنى أنّ الدولة التي يتحدث أغلب سكانها بلغتين أو أكثر هي دولة متعددة اللغات.

ويعرّف (جون ديبوا) التعدد اللغوي في قاموس اللّسانيات على أنّه "اجتماع أكثر من لغة في المجتمع الواحد، أو لدى شخص واحد ليستعملها في وضعيات تواصلية مختلفة، وأشهر مثال هو دولة سويسرا حيث توجد فيها الفرنسية والإيطالية، والألمانية كلغات رسمية[4]" هذه إذن مجمل التعريفات الواردة عن التعدد اللغوي وهي كلها تقول أنّ التعدد اللغوي هو ما يفوق لغتين عند الفرد.

2. ما معنى اللغة الأمّ؟: اللّغة الأمّ هي تلك اللغة التي اكتسبها الطفل في محيطه أو وسط عائلته دون أن يدرسها، وهي أوّل لغة ينطق بحروفها، والتي تعكس عاداته وتقاليده وهويته، كاللغة القبائلية مثلا وغيرها من اللغات.

3. أهمية اللغة الأمّ في المجتمعات: لا يخفى علينا أنّ للغة الأمّ أهمية ومكانة عظمى لدى أفرادها، بحيث تمثل الانتماء والأصل، وأكثر من ذلك الهوية، ولكن مع التطور التكنولوجيّ وهذا العصر الملقب بعصر السرعة لم يعد لها أهمية مقارنة بما كانت عليه في السابق، وهذا ما سيظهر من خلال هذه الأمثلة التي هي عبارة عن تسجيل صوتي لبعض المحادثات لأحد العائلات الساكنة بولاية تيزي-وزو بحيث جرت المحادثة كالآتي:

- الأمّ (تحدّث ابنها): ? salut mon fils sa va أَمَاگْثْعَدًا la journée اَيْـنْگ؟

- الابن: C'était excellente mam، رَحْنَا أَنَا وَصْحَابِي حَوَّسْنَا On a amuser un peut ، نحينا على خاطرنا، Mais أَشْكِيثْ اَلْحَالْ.

- الأمّ: أَيَا Bien، mais maintenant il faut que tu prépare pour ton bac il reste pas beaucoup pour ton examen.

- الابن: Oui mama، أَكَ شْوِيَّ أَذْرُحَاغْ أَذَغْرَاغْ.

ما لاحظناه في هذه المحادثة أنّ اللغة الغالبة في الاستعمال هي اللغة الفرنسية لكلّ من الأم وابنها خاصة الأمّ تكاد اللغة القبائلية تنعدم في استعمالها، بالرّغم من أصلهم القبائليّ، فنحسّ أنّنا في وسط محادثة تجري بين أشخاص يسكنون في الخارج لأنّهم لا يوظفون القبائلية إلاّ بعض الكلمات، وحتى نطقها تتبعها تلك النّبرة الخاصة باللغة الفرنسية، كما لا حظنا استعمالهم لبعض الكلمات باللغة العربية الدارجة، مما يعني أنّ هذه العائلة تستعمل ثلاث لغات ولكن اللغة الغالبة هي الفرنسية.

4. اللّغة الأمّ وتحديات العصر: ممّا لا شكّ فيه أنّنا نعيش عصر العولمة، حيث أصبح العالم كلّه قرية صغيرة واحدة، إذ أنّ كلّ شخص يعرف ما يفعله الآخرون مهما بعدت المسافات، فالعولمة إذن قربت كلّ بعيد خاصة مع هذا التطور الهائل في وسائل التكنولوجيا ووسائل التواصل التي غزت العالم منها الفيسبوك Facebook، والفايبر Viber، والواتس آب Watsapp، وغيرها من الوسائل التي يمكن أن نتواصل بها مع أيّ شخص نريده وفي أيّ وقت.

والعولمة ليست وليدة اليوم، وإنّما كانت منذ القديم، وظهرت في تبادل السلع والأفكار بين الأمم، لكنّها تطورت أكثر في عصرنا الحاليّ، حيث ظهرت في الشركات المتعدّدة الجنسيات في مختلف أنحاء العالم، فالعولمة إذن غيّرت الكثير من مظاهر الحياة في كلّ مجتمعات العالم، إلاّ أنّ هذه الظاهرة أثّرت

وبشكل كبير على اللغة الأمّ ، لأنّ العولمة هي السبب الرئيسيّ في ظهور التعّدد اللغويّ ، ومن ثمّ ظهر الصراع اللغويّ ، حيث أنّ اللّغة المستعملة في المجالات الاقتصادية والسياسية وغيرها هي المهيمنة والتي تحتل المرتبة الأولى بين كلّ اللغات مثل اللغة الإنجليزية حاليا التي تحتل المرتبة الأولى لكونها الأكثر استعمالا والأكثر سيطرة ، وبذلك همّشت اللغات الأخرى الضعيفة ، وهذا ما بدا لنا في هذه الأجوبة لأحد العائلات القانطة بمدينة تيزي-وزو:

السؤال: ماذا تمثّل لكم اللغة القبائلية ؟

- الأمّ: Bon ، ثْقْبَيْلِيتْ ذَاللُّغَه اَلَّجْذُوذْ ، ذَالُّغَه اَتْنَصْلِيتْ.
- الأب: ثْقْبَيْلِيتْ ذَالُّغَة اِسِي اِدْنَكَّارْ ، ذَالُّغَه اِمَوْلاَنْ ، اَنْحَمْلِيتسْ اَطَاسْ.
- الابن: Tous simplement la langue kabyle c'est notre langue maternelle

نلاحظ هنا أنّ الإجابة تكمن فقط بأنّها لغة الأصل والأجداد ، وكأنّهم يريدون القول أنّها لغة مرّ عليها الدهر وشرب ، بحيث لا تستعمل ، لغة لم يعد لها وجود ، لغة انقرضت ، وغيرها من التأويلات ، كما لاحظنا أنّ إجابة الابن كانت باللغة الفرنسية ، ولم يستعمل بتاتا اللغة القبائلية ، وهذا دليل على ضعف هذطه اللغة عنده إضافة إلى عدم تعوّده على استخدامها في المنزل ، يعني هي لغة مهمّشة عندهم.

وعندما طرحنا عليهم سؤالا آخرا ، بما أنّكم قلتم أنّ القبائلية هي اللغة الأمّ ولغة الأصل والأجداد ، فلماذا لا تستعملونها في حياتكم وفي محادثاتكم العادية داخل الأسرة ؟

فكانت الإجابات كالآتي:

- الأمّ: اَخَاطَرْ اَنْوُولَفْ اَنْسَخْذَامْ le français ذَقْخدِّيمْ ، même ذَقْخامْ نَبِّي le ritme أَبِّي.
- الأب: نَكْنِي en réalité اَنْتَبَاعْ الُّغَه نَتَقَدُّمْ ، اَلُّغَه أَيْعِوْنَنْ اَرَّاوْ اَنَّغْ اِوَكَّنْ اَذَغْرَانْ ، اِوَكَّنْ اَذَفَنْ اِمَنَنْسَنْ ذِي la société يَقْي ، أَيْرَنَا ثْرَا نَتسْوَالِي الُّغَه اِسَخْذَمَنْ اَطَاسْ اَلْغَاشِي اَذْ le français ، parceque سْفَيْدَيَنْدْ اَطَاسْ ذَيَاسْ.
- الابن: sincèrement ثْقْبَيْلِيتْ أَتسْسِنْغَارَا مْلِيحْ اَلاَ اَيَنْ اِدَتْعَلْمَغْ غُورْ يَمْذَكِلِيوْ parceque أَيْدْهَدَّرْنَارَا اِمَوْلَنِيوْ سْثَقْبَيْلِيتْ اَسْمِي اِمَشْطُحَاغْ.

هذه الأجوبة تدلّ على أنّ هذه العائلة لا تولي أيّة أهمية للغة القبائلية ، إذ لا يستعملونها في محادثاتهم العائلية ، ويرون أنّ اللغة الفرنسية هي لغة التقدّم والتحضّر ، بعكس اللّغة القبائلية التي لا تفيدهم في حياتهم ، فبالنسبة لهم لا داعي لتعلم أو استعمال لغة ليس لها فائدة ولا تضيف إلى حياتهم المهنية أو المعرفية شيئا جديدا ، وهذا ما تؤكده إجابة الابن الذي قال أنّ والديه لم يعلّماه اللغة القبائلية ، تعلّمها فقط عند أصحابه في الشارع ، نستشف من خلال إجابته وكأنّه يلوم والديه على عدم تعليمه اللغة القبائلية باعتبارها ترمز إلى أصله ، وهي موروث الأجداد ، فلا أحد يتخلى عن موروثه.

وانطلاقا من كل ما سبق نستنتج أنّ الأولياء يساهمون في تهميش اللغة الأمّ وفي اختفائها ، بحيث لا يعلّمون أبناءهم اللغة القبائلية ، وهذا ما يشكّل خطرا عليها ، إذ تزاحمها أثناء أداء الفعل التواصليّ لغات شعوب أخرى كالفرنسية التي تستعمل كثيرا في مدينة تيزي-وزو وهذا ما ظهر من خلال الأمثلة المذكورة سابقا ، طبعا ظاهرة تهميش اللغة القبائلية تبرز بكثرة في المدن أين تكثر المراكز الصناعية والشركات

والمرافق الاجتماعية ، التي تتطلب كلها استعمال اللغات الأجنبية ، لذلك ينقص حظ الاستعمال للغة القبائلية كونها لا توظف في مجال الشغل ، ويمكن أن نشبّه اللغة الأجنبية بالمرأة العاملة أمّا اللغة القبائلية بالمرأة الماكثة في البيت ، والفرق شاسع وواضح جدا.

5. موقف بعض أسر مدينة تيزي-وزو من اللغة القبائلية: هنا سنحاول أن نبرز مواقف بعض الأسر الساكنة بمدينة تيزي-وزو من اللغة القبائلية ، وسيظهر ذلك من خلال مجموعة من الأسئلة المطروحة عليهم ، وهي كالآتي:

بدأنا أوّلا بالوالدين طرحنا عليهما السؤال الآتي: هل تحب اللغة القبائلية ؟

- الأبّ: Bon ، مَا نْحَبْهَا مَا نَكْرَهْهَا ، لكن هي تعتبر جزءًا من الثقافة الأمازيغية.

- الأمّ: اللغة القبائلية هي لغة أجدادنا ، هي اللغة التي ترعرعنا بين أحضانها ، هي اللغة التي نطقنا بها لأوّل مرة.

- الابن: صراحة نحن في المنزل لا نستخدم اللغة القبائلية كثيرا ، ولكن تبقى على أنّها لغة مثل باقي اللغات لها مكانتها لدى أصحابها.

نلاحظ من خلال إجابة الأب أنّه لا يبالي باللغة القبائلية ولا يعطي لها أية أهمية ، وكأنّه يقول أنّها بعيدة كل البعد عنه.

أما إجابة الأمّ فتظهر بأنّها تعتبر اللغة القبائلية قديمة لا تناسب هذا العصر الذي هو عصر التكنولوجيا حينما قالت أنّها لغة الأجداد ، ولا ترقى إلى أن تكون في مستوى اللغات الغربية الأخرى كالفرنسية والانجليزية.

أمّا إجابة الابن فتؤكد أنّ والداه لا يهتمان بتاتا باللغة القبائلية عندما قال بأنّهم لا يستخدمونها في محادثاتهم العادية داخل الأسرة ، وحينما قال أنّها "لغة مثل باقي اللغات لها مكانتها عند أصحابها" هذا الكلام كأنّه يوحي بأنّه ينكر أصله الأمازيغيّ خاصة في كلمة "أصحابها" إذ يقصي نفسه من أصوله.

وبعد ذلك طرحنا نفس السؤال على عائلة أخرى تسكن في مدينة تيزي-وزو أيضا ، وكانت الإجابات كالآتي:

- الأب: القبائلية هي لغتي ، هي لغة أجدادي ، وهي اللغة التي نستعملها يوميا داخل الأسرة وفي الشارع وفي حياتنا العادية اليومية.

- الأمّ: اللغة القبائلية ترمز إلى أصلنا والتخلي عنها يعني التخلي عن أصلنا ، وقد كنت حريصة جدا على تعليمها لأولادي ، وهم بالتالي سيعلمونها لأولادهم وهكذا نتوارثها جيلا عن جيل للحفاظ عليها.

- الابنة: أَزُّولْ فَلاَّمْ ، القبائلية هي لغتي ، هي اللغة التي أستعملها في كلّ مكان ، حتى في مكان الشغل أستعملها عند الحديث مع الزملاء أو عند دخول مثلا شخص لا يتكلّم باللغات الأجنبية ، فالقبائلية إذن توظف في كلّ مكان هي جزء من ثقافتنا وعلينا المحافظة عليها.

- الابن: أنا أحب اللغة القبائلية ، وفخور بكوني أمازيغي الأصل ، وقبائلي اللغة.

نلاحظ من خلال هذه الإجابات أنّ هذه العائلة بالرغم من أنّها تسكن في مدينة تيزي-وزو وبالرغم من أنّ كل أفرادها لهم ثقافة عالية ، إلاّ أنّها تبقى محافظة على لغتها الأصل ، وهي تعطي أهمية كبيرة لها خاصة عندما ذكرت الابنة أنها توظفها في مجال الشغل ، وأوضحوا رغبتهم الشديدة في المحافظة على هذه اللغة لأنّها تمثّل هويتهم ، وهم فخورون بكونهم ذو أصول أمازيغية مثلما صرّح به الابن ، ويبدو أيضا من خلال إجاباتهم أنّها اللغة الغالبة في الاستعمال لديهم ، وعلى العموم هذه العائلة لا تزال متمسكة بالقبائلية التي هي لغتهم الأمّ ، على عكس العائلة السابقة الذكر التي همشتها وجعلتها لغة ضعيفة وقديمة لا تصلح للاستعمال خاصة في هذا العصر الذي هو عصر التقدم ، وأنّها لا ترقى إلى مستوى اللغات الأجنبية الأخرى التي غزت العالم اليوم.

6. موقف بعض أسر تيزي- وزو الساكنة بالأرياف من اللغة القبائلية: تعتبر الأرياف من المناطق الأكثر محافظة على عاداتها وتقاليدها إذ إنّ شعبها يتميز بطابعه البسيط ، ويرجع ذلك إلى عدم تعرضه للاختلاط مثلما حدث في المدينة ، إذ يختلف الريف عن المدن في بتلك المناظر الطبيعيّة ، وعدد السكان ، والبنايات ، والعلاقات الاجتماعية ، وكذلك المستوى التعليميّ.

قمنا بطرح بعض الأسئلة على بعض الأفراد الساكنين بقرية "آيت نعايم" وهي قرية موجودة في دائرة أزفون كما ذكرنا سابقا ، وكانت المساءلة على النّحو الآتي:

- ماذا تمثل لكم اللغة القبائلية ؟
- هل مازلتم تستخدمونها أم أنّكم تتبعون لغات التقدم والحضارة ؟
- ما مدى استعمال اللغة القبائلية في المدن (مدينة تيزي-وزو)؟
- من هم الأكثر اهتماما باللغة القبائلية ، سكان القرى أم سكان المدن ؟

وكانت الإجابات كالآتي:

الإجابة الأولى: اللغة القبائلية هي رمز للأمازيغ البربر ، هي أغلى موروث ورثناه عن أسلافنا.... طبعا لا نقول لا نزال نستخدمها وإنّما هي اللغة التي نطقنا بها لأوّل مرة وهي اللغة التي نستخدمها وسوف نستخدمها ، وهي اللغة الوحيدة المستعملة عندنا ، ومهما وصلت درجة التقدم والحضارة إلاّ أنّنا لن نتخلى عنها ولن نسمح لأيّ لغة أخرى أن تحلّ محلّها وفي حديثنا الأسري لا ندخل لغات أخرى إنما نستعمل القبائلية فقط.

عندنا الكثير من الجاليات التي تأتينا من مختلف ربوع العالم ولكن الشيء الذي يفرحنا حتى ولو كانوا في ديار الغربة منذ زمن طويل ولا يأتون إلا بلدهم إلاّ في العطلة يتحدثون اللغة القبائلية هم وأبناءهم بطلاقة .

بالنسبة لاستعمال القبائلية في المدن على ما أظن أنّ هناك بعض العائلات التي لا تزال تحافظ عليها وتولي لها أهمية كبرى وتستعملها في حياتها اليومية ، وهناك بعض العائلات التي تفضل استخدام اللغات الأجنبية وأيضا العربية الدارجة ، ولكن على العموم أغلبية سكان المدن يميلون أكثر إلى استعمال اللغات الأجنبية ويهمشون القبائلية ، بالرغم من أنّها لغتهم الأصلية.

من خلال هذه الإجابة نستنتج أنّ سكّان الأرياف هم الأكثر اهتماما بلغتهم الأمّ ، إذا ما قرناهم بسكان المدن ، كما أنّ اللغة في الريف لا تزال نقية صافية لم يدخلها ذلك التعدد اللغوي مثلما هو شائع في المدن ، فلا ننكر أنّه حتى في مدينة تيزي-وزو هناك الكثير ممن يستعملون اللغة القبائلية لكن ليس لوحدها وإنّما غالبا ما يدخلون لغات أخرى كالفرنسية والعربية الدارجة ، ففي الجملة الواحدة يوظف أكثر من لغتين وهذا ما لاحظناه لدى أغلبية سكان هذه المدينة (مدينة تيزي-وزو)؛ باختصار لاحظنا أن سكان الريف حريصون أشدّ الحرص على عدم دخول أية لغة أجنبية في وسط استعمالهم ، فهم يريدون أن تبقى اللغة القبائلية هي لغتهم الوحيدة ، أما باقي اللغات فتستخدم فقط في أماكن الشغل والمقاعد التربوية.

الإجابة الثانية: ذَشُو أَدِنِيغْ ، ثَقْبَيْلِيتْ ذَاڵّغَه اِنَتسْعُزُو اَطَاسْ ، ذَاللّغَه اِنْسَخْذَامْ اَطَاسْ ، اَنْسَرَمْ ڤْذَاكْ اِتسْعِشِينْ اِثَمْذِينْتْ اَذْخَذْمَنْ اَمْنَكْنِي اَتسْتَعَلْمَنْ اِوَرَّاوْ اَنْسَنْ ، اَخَطَارْ اِثَمْذِينْتْ اِمْخَلاَفْ اَلْحَالْ ، ذِنَّ أَطَاسْ نالّلُغَاتْ اِسَخْذَمَانْ ، ذْغَا ثَقْبَيْلِيتْ اَنِي أَرْنْتسْ اَرِيفْ ، اَسَنِّي حَذْرَتْ الّغَه اَنْوَانْ تسْنَّ اِدِسِڤِينَنْ لَصَلْ اَنْوَانْ.

نلاحظ أنّ هذه الإجابة لا تختلف كثيرا عن الإجابة الأولى ، فمعظم سكان الأرياف يحبون اللغة القبائلية ، ويريدون أن تتناقل من جيل لآخر ، ولهذا فإنّ هذا الشخص يطالب من الساكنين في المدينة أن يحافظوا على هذه اللغة ويعلّموها لأبنائهم ، فهي التي تبيّن أصلهم.

وبعدها طرحنا سؤالا آخرا وهو ، ما رأيك في التعددّ اللغويّ ؟

الإجابة الأولى: لا أنكر أنّ التعدد اللغوي ذو فائدة كبيرة على الفرد ، إذ إنّ الفرد الذي يتحدّث بعدة لغات أفضل من الفرد الذي يتحدث فقط لغة واحدة فالأوّل يكون المجال أمامه مفتوحا في عالم الشغل كما أنّه سيصبح سهلا عليه الانخراط في أيّ مجتمع من المجتمعات ، لكن هذا لا يكون على حساب اللغة الأمّ ، فكل لغة في مكانها فليس بمجرد أن يتعلم الفرد اللغات الأجنبية يتخلى عن لغته الأصلية ، لذلك يجب الفصل في الاستعمال اللغوي لدى الفرد إذ يستعمل اللغات الأجنبية في مجال الشغل فقط والقبائلية في المنزل وسط الأسرة حتى لا يكون إجحاف في حق اللغة الأمّ.

الإجابة الثانية: التعدد اللغوي أتى عن طريق التطور والتقدم الذي حدث في مختلف المجالات بحيث أنّنا نلاحظ أن اللغات الأجنبية سيطرت على اللغات الأخرى ، طبعا هو شيء إيجابيّ لكن يجب أن نحسن استغلاله ، إذ من غير المعقول أن نتخلى عن لغتنا الأمّ من أجل لغات أخرى كونها لغات التقدّم والتحضر ، لا يجب أن نخضع للاستعمار اللغوي للبلدان الغربية.

هاتين الإجابتين تدلان على أنّ سكان الأرياف ليسوا ضدّ التعدّد اللغوي ، لكن يرفضون أن يكون ذلك على حساب اللغة الأمّ فلا أحد ينكر لغته ليتبنى لغات أجناس أخرى.

7. استنتاج الفرق بين موقف سكان الأرياف وسكان المدن من اللغة القبائلية:

1/7. موقف سكان المدن

- أغلبيتهم لا يولون الاهتمام للغة القبائلية ؛
- يفضلون اللغات الأجنبية باعتبارها لغات التقدم والتحضر ؛
- يرون أنّ اللغة القبائلية هي لغة الأجداد وفقط ؛

- يرون أنّ اللغة القبائلية ليس لها أهمية كبيرة مقارنة باللغات الأجنبية ؛ لأنّ هذه الأخيرة تفيدهم في عالم الشغل وفي أمور كثيرة ؛
- لاحظنا أنّ الأجيال الناشئة تفضل اللغات الأجنبية.

2/7. موقف سكان الأرياف

- يعتبرون اللغة القبائلية أهم موروث تركه الأجداد ، ومن واجبهم المحافظة عليه ؛
- ليسوا ضدّ اللّغات الأجنبية ، لكن لا يحبذون استعمالها في المحادثة اليومية داخل الأسرة ويفضلون استعمال اللغة القبائلية وحدها ؛
- سكان الأرياف من الذين يدافعون جدا عن هذه اللّغة ويخافون عليها من الزوال ؛
- حريصون جدا على تعليم أبنائهم اللغة القبائلية منذ الولادة.

هذا إجمالا ما توصلنا إليه من خلال إجابات كل من سكان الأرياف والمدن على تساؤلاتنا واستنتجنا أنّ سكان الأرياف هم الأكثر اهتماما وحفاظا على اللغة القبائلية التي هي لغتهم الأمّ ، أما بالنسبة للمدن فصحيح أن العائلات تستخدم القبائلية ، لكن نلاحظ أنها دائما ما تُدخل لغات أخرى وسطها ، وهذا ما رفضه سكان الأرياف بشدّة.

8. بعض الحلول للحفاظ على اللّغة القبائلية: من المعروف أنّ اللغة القبائلية مرتبطة أشدّ الارتباط بسكان منطقة تيزي-وزو ، لكن المشكلة أنّ الدول القوية اقتصاديا وعسكريا تفرض دائما سيطرتها الثقافية على العالم ، ومن أشكال السيطرة فرض اللغة الانجليزية في عصرنا الحاليّ حتى في الجامعات العربية ، إذ بدأت نسبة سكان منطقة القبائل المستعملين للغة القبائلية بالانخفاض خاصة سكان المدن ، ولا بدّ من الحفاظ على اللغة القبائلية من خلال الحلول والاقتراحات الآتية:

1/8. المحافظة على التحدث باللغة القبائلية: يلجأ بعض الناس إلى إدخال بعض الكلمات الأجنبية إلى اللغة القبائلية أثناء تحدثهم مع غيرهم وهذا ما يحدث خاصة في المدن ، ويعتبرون ذلك جزءا من التطور الحضاريّ ، ولكنّهم يغفلون أنّ ذلك يؤدي إلى إضعاف اللغة القبائلية ، لذلك يجب الحرص والمحافظة على التحدث باللغة القبائلية ، واستخدام مفرداتها وكلماتها ، والابتعاد عن استخدام اللغات الأجنبية الأخرى إلاّ في مجال العمل كالتعليم ، أو في سياقات تحتاج إلى توظيفها.

2/8. تعليم الأبناء اللغة القبائلية وتربيتهم على التحدث بها: ويكون ذلك منذ ولادتهم حيث يجب أن تكون اللغة الوحيدة التي يتلقاها الأبناء في المراحل الأولى من النمو اللغوي ، إذ يجب على الأولياء تعليم أولادهم أسلوب الحوار باللغة القبائلية ، وذلك سيساعد في جعلهم يقدرون قيمة لغتهم ، وأهميتها الكبرى في حياتهم ، وبالتالي حتى لو كبروا لن يهجروا اللغة القبائلية وسيستمرون في توارثها جيلا عن جيل.

3/8. المساهمة في عقد ملتقيات ومؤتمرات عن اللغة القبائلية: هذه الملتقيات والندوات التي تعقد تساهم بشكل كبير في توعية الفرد وتبيان أهمية اللغة القبائلية ، وكيفية الحفاظ عليها ، كما انّها تساهم في نشر هذه اللغة والتعريف عنها أكثر خصوصا للأشخاص الذين لا يتحدثون بها ، والاشخاص الذين يهمشونها وينظرون إليها نظرة استحقار ، فعندما يظهر القبائلي اعتزازه وفخره باللغة القبائلية يكون قد ساهم في منعها من الاندثار.

الخاتمة: في الأخير نقول أن أية لغة لا تظهر وظيفتها إلا في وسط مجتمعها وبين أفرادها الذين يستعملونها فإذا تخلوا عنها ستندثر وتختفي ، لذلك وجب على كلّ مجتمع أن يعزز مجهوداته لخدمة لغته الأمّ والمحافظة عليها كونها تعكس الأصول والروابط ، والانتماء.

ومن خلال تحليلنا لمدونتنا هذه لاحظنا أنّ اللغة القبائلية تتفاوت درجة استعمالها في المدينة وفي القرية ، إذ أنّ سكان القرية هم الأكثر استعمالا لها ، على عكس المدينة التي يكثر فيها التعدّد اللغويّ خاصة اللغات الأجنبية التي غزت عقول أجيالنا اليوم.

ويجدر بنا أيضا أن لا ننكر أهمية التعدد اللغوي ، فكلّ الميادين والمجالات التعليمية منها والاقتصادية ، والسياسية تحتاج إلى أشخاص يتكلمون عدة لغات ، فاللغة الواحدة تدلّ على الفكر الواحد وهذا ما لا يجوز في عصرنا الحاليّ ، فالتعدّد اللغويّ إذن يجب أن نحسن استثماره ، وذلك بضبطه وتوجيهه ، وحسن استخدامه ، لأنّ حسن استغلاله يمكن أن يفيدنا في فهم ما توصلت إليه الأجناس الأخرى من معارف وتكنولوجية ، ورغم أنّ التعدّد اللغوي منتشر بشكل كبير في الجزائر إلاّ أنّه سيبقى مجرّد تنوّع ثقافيّ ولغويّ يمكنه إثراء لغتنا إذا ما أحسنا استغلاله بشكل عقلانيّ ، لا يؤثر على لغاتنا نحن.

ومن خلال بحثنا هذا توصلنا إلى النتائج الآتية:

- أنّ هناك صراعا لغويا في منطقة القبائل بالتحديد في تيزي-وزو وهي اللغة القبائلية واللغات الأجنبية خاصة الفرنسية ؛

- أنّ من أهمّ العوامل المؤدية إلى التعدد اللغويّ هي العوامل الخارجية العلمية والعولمة ، والعوامل الداخلية كالتعليم باللغات الأجنبية ، والإعلام ؛

- أنّ العوامل الداخلية هي الأشدّ تأثيرا على النفس ، فمثلا الطفل الذي يترعرع في وسط عائلة تتحدث باللغة الأجنبية هو أيضا سيتبنى تلك اللغة ؛

- ضرورة التفريق بين تعليم اللغات الأجنبية الذي هو ضرورة ملحة لمواكبة التطورات الحاصلة في هذا العصر والتعلّم باللّغات الأجنبية الذي يعني تعليم العلوم بها لأنّ له سلبيات عديدة على تفكير شبابنا ، فمستقبل أيّ أمّة مرهون بلغتها الأمّ ؛

- التزام الأولياء بسن مناسبة لتعليم أولادهم اللغات الأجنبية ، لأنّ تعليمها في سن مبكرة يؤثر سلبا على اللغة الأمّ.

التوصيات

- إقامة حملة تعنى بالتوعية بأهمية اللّغة القبائلية ، وتوضيح مكانتها وأهميتها في النفوس ؛

- على كل الأولياء وضع إستراتيجية لتعلين أولادهم اللغات حتى يكون هناك توازن في الاستعمال ؛

- محاولة غرس ثقافة الاعتزاز باللغة القبائلية خاصة للأجيال الناشئة.

والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين

الهوامش

[1]- علي الشمراني ، التعدد اللغويّ http://www.m5zn.com/newuploads/2014/04/07/pdf/2c6bc8ab83aa193.pdf، ص 01. في 2017/08/10، على الساعة 13:00.

[2]- علي القاسمي ، التعدد اللغوي والتنمية البشرية ، http://revue.ummto.dz/index.php/pla/article/viewFile/831/671، ص 01. في 2017/08/15، على الساعة 15:30.

[3] باديس لهويمل ، نور الهدى حسني ، مظاهر التعدد اللغوي في الجزائر وانعكاساته على تعليمية اللغة العربية ، http://revue.ummto.dz/index.php/pla/article/download/1121/941، جامعة محمد خيضر- بسكرة ، ص 103. في 2017/08/18 ، على الساعة 18:00.

[4]- J. Dubois et autre : Dictionnaire de l'inguistique, paris, Larousse, 1993, p 368.

الملاحق:

الملحق 01:

- الأمّ (تحدّث ابنها): ? la journée أَمَاكْ ثْعَدَّا salut mon fils sa va أَيِ ْنكْ؟

- الابن: C'était excellente mam ، رَحْنَا أَنَا وَصْحَابِي حَوَّسْنَا ، On a amuser un peut ، نحينا على خاطرنا ، Mais أَشْكِيثْ اَلْحَالْ.

- الأمّ: أَيَا Bien ، mais maintenant il faut que tu prépare pour ton bac il reste pas beaucoup pour ton examen.

- الابن: Oui mama ، أَكَ شْوِيَّ أَذْرُحَاغْ أَذَغْرَاغْ.

الملحق 02:

السؤال: ماذا تمثّل لكم اللغة القبائلية ؟

- الأمّ: Bon ، ثْقْبَيْلِيثْ ذَاللُّغَه اَلَّجْذُوذْ ، ذَالُّغَه اَتْنَصْلِيثْ.
- الأب: ثْقْبَيْلِيثْ ذَالُّغَة اِسِي اِدْنَكَّارْ ، ذَالُّغَه اِمَوْلاَنْ ، اَنْحَمْلِيتسْ اَطَاسْ.
- الابن: Tous simplement la langue kabyle c'est notre langue maternelle.

السؤال: بما أنّكم قلتم أنّ القبائلية هي اللغة الأمّ ولغة الأصل والأجداد ، فلماذا لا تستعملونها في حياتكم وفي محادثاتكم العادية داخل الأسرة ؟

- الأمّ: اَخَاطَرْ اَنْوُولَفْ اَنْسَخْذَامْ le français ذَفْخِدِّيمْ ، même ذَفْخَامْ نَبِّي le ritme أَنِّي.

– الأب: نَكْنِي en réalité اَنْتَبَاعْ الْغَه نَتَقَدَّمْ ، اَلْغَه أَيْعِوْنَنْ اَرَّاوْ اَنَّغْ اِوَكَّنْ اَذَغْرَانْ ، اِوَكَّنْ اَذَفَنْ اِمَنَسْنَسْ ذِي la société يَقْي ، أَيْرْنَا تْرَا نَتسْوَالِي الْغَه اِسَخْذَمَنْ اَطَاسْ اَلْغَاشِي اَذْ le français ، parceque سْفَيْدَيَنْدْ اَطَاسْ ذَيَاسْ.

– الابن: sincèrement تْقْبَيْلِيتْ أَتسْسِنْغَارَا مْلِيحْ اَلاَ اَيَنْ اِدَنْعَلْمَغْ غُورْ يَمْدْكَلِيوْ parceque أَيْدْهَدَّرْنَارَا اِمَوْلَنِيوْ سْتَقْبَيْلِيتْ اَسْمِي اِمَشْطُحَاغْ.

الملحق 03:

السؤال: هل تحب اللغة القبائلية ؟

– الأبّ: Bon ، مَا نْحَبْهَا مَا نَكْرَهْهَا ، لكن هي تعتبر جزءًا من الثقافة الأمازيغية.

– الأمّ: اللغة القبائلية هي لغة أجدادنا ، هي اللغة التي ترعرعنا بين أحضانها ، هي اللغة التي نطقنا بها لأوّل مرة.

– الابن: صراحة نحن في المنزل لا نستخدم اللغة القبائلية كثيرا ، ولكن تبقى على أنّها لغة مثل باقي اللغات لها مكانتها لدى أصحابها.

الملحق 04:

– الأب: القبائلية هي لغتي ، هي لغة أجدادي ، وهي اللغة التي نستعملها يوميا داخل الأسرة وفي الشارع وفي حياتنا العادية اليومية.

– الأمّ: اللغة القبائلية ترمز إلى أصلنا والتخلي عنها يعني التخلي عن أصلنا ، وقد كنت حريصة جدا على تعليمها لأولادي ، وهم بالتالي سيعلمونها لأولادهم وهكذا نتوارثها جيلا عن جيل للحفاظ عليها.

– الابنة: أَزُّولْ فَلاَّمْ ، القبائلية هي لغتي ، هي اللغة التي أستعملها في كلّ مكان ، حتى في مكان الشغل أستعملها عند الحديث مع الزملاء أو عند دخول مثلا شخص لا يتكلّم باللغات الأجنبية ، فالقبائلية إذن توظف في كلّ مكان هي جزء من ثقافتنا وعلينا المحافظة عليها.

– الابن: أنا أحب اللغة القبائلية ، وفخور بكوني أمازيغي الأصل ، وقبائلي اللغة.

– **الملحق 05:** ماذا تمثل لكم اللغة القبائلية ؟

– هل مازلتم تستخدمونها أم أنّكم تتبعون لغات التقدم والحضارة ؟

– ما مدى استعمال اللغة القبائلية في المدن (مدينة تيزي-وزو)؟

– من هم الأكثر اهتماما باللغة القبائلية ، سكان القرى أم سكان المدن ؟

الإجابة الأولى: اللغة القبائلية هي رمز للأمازيغ البربر ، هي أغلى موروث ورثناه عن أسلافنا.... طبعا لا نقول لا نزال نستخدمها وإنّما هي اللغة التي نطقنا بها لأوّل مرة وهي اللغة التي نستخدمها وسوف

نستخدمها ، وهي اللغة الوحيدة المستعملة عندنا ، ومهما وصلت درجة التقدم والحضارة إلاّ أنّنا لن نتخلى عنها ولن نسمح لأيّ لغة أخرى أن تحلّ محلّها وفي حديثنا الأسري لا ندخل لغات أخرى إنما نستعمل القبائلية فقط.

عندنا الكثير من الجاليات التي تأتينا من مختلف ربوع العالم ولكن الشيء الذي يفرحنا حتى ولو كانوا في ديار الغربة منذ زمن طويل ولا يأتون إلا بلدهم إلاّ في العطلة يتحدثون اللغة القبائلية هم وأبناءهم بطلاقة .

بالنسبة لاستعمال القبائلية في المدن على ما أظن أنّ هناك بعض العائلات التي لا تزال تحافظ عليها وتولي لها أهمية كبرى وتستعملها في حياتها اليومية ، وهناك بعض العائلات التي تفضل استخدام اللغات الأجنبية وأيضا العربية الدارجة ، ولكن على العموم أغلبية سكان المدن يميلون أكثر إلى استعمال اللغات الأجنبية ويهمشون القبائلية ، بالرغم من أنّها لغتهم الأصلية.

الإجابة الثانية: التعدد اللغوي أتى عن طريق التطور والتقدم الذي حدث في مختلف المجالات بحيث أنّنا نلاحظ أن اللغات الأجنبية سيطرت على اللغات الأخرى ، طبعا هو شيء إيجابيّ لكن يجب أن نحسن استغلاله ، إذ من غير المعقول أن نتخلى عن لغتنا الأمّ من أجل لغات أخرى كونها لغات التقدّم والتحضر ، لا يجب أن نخضع للاستعمار اللغوي للبلدان الغربية.